

"سنة" كريمة الإمام البنا في أول حديث صحفي عن والدها



1 نوفمبر 2006

والدتي طلبت منه شراء منزل فقال لها: قصورنا في الجنة يا أم وفاء
قصة الصعيدي الذي جاء بالبنديقية والشومة لحراسة منزل الإمام الشهيد
والذي كان يصرُّ على السكن في الدور الأرضي حتى لا يُتعب زوّاره
كان يطلق على كل واحد منا اسمًا للدّلج ويتركنا ناديه به

حاورتها- نسيبة حسين

كلما اقتربت خطواتي من باب منزلها ازداد شعوري باللهفة والشوق لأستمع إلى جانب من ذكرياتها مع من كان مجدد القرن..
سأرى من رأت الإمام البنا وعابثته وعاصرتة.. سيرت في الطريق متلهفة ساعة اللقاء، وحين وصلت إلى حيث تقطن رأيتها
والابتسامة تشعُّ من وجهها البشوش، ورأيت دموعها تنهمر عند حديثها وسردها ذكريات أعوام وأعوام مرّت، ولا زال الألم في
ذاكرتها دون أن ينمحي، وخصوصًا عند حديثها عن الإمام البنا رحمه الله.

هذا الحديث جعلني في داخل منزلهم أشاهدهم يأكلون ويشربون وأرى اللهفة في عيونهم لعودة الإمام البنا من المركز العام..
إنها رحلة في تاريخ حياة عالم وداعية رباني، فهيا بنا ممّا نستكشف بعض جوانبها من خلال أحد أفراد أسرته:

' في البداية نحب أن نتعرف على أفراد الأسرة؟

** نحن خمس بنات وولد واحد، وهناك اثنتان تُوفيتا في حياة الوالد، تكبرنا وفاء، ويليها أحمد سيف الإسلام، ثم سنة، ومحمد
حسام الدين (توفي)، ثم رجاء، وصفاء (توفيت)، وهالة، واستشهاد، التي وُلدت بعد وفاة الإمام البنا، وكان جدي قد انتوى تسميتها
"دماء" غير أن موظف الصحة رفض، فأحسن جدي أن الاسم سيكون ثقيلًا عليها، فقرّر تسميتها "استشهاد" فرفض الموظف من
جديد غير أن جدي أصرّ وقال له إدا لن أسميها وسأتركها حتى تكون "ساقطة قيد" فلما أسقط في أيديهم سجلها باسم
"استشهاد"؛ لأنها وُلدت بعد استشهاد الوالد، ومن اختار لها الاسم هو جدي ووالدتي ووفاء، وكان عمرنا عند استشهاد الوالد:
سنة 11 سنة ونصف، سيف 14 سنة ونصف، وفاء 17 عامًا، وتقريبًا هي من اختارت الاسم لقرّبها الشديد من والدي، وسبحان الله
اليوم الذي استشهد فيه الوالد كانت الوالدة مريضة بالقلب، فلما وُلدت هالة منعها الأطباء من الحمل نهائيًا وطلت في الفراش
أربعين يومًا، وكانت وقتها تعالج من القلب، فأصرّ الدكتور الذي كان يقوم بعلاجها على أن يتم إجهاض الجنين وحدّد ذلك يوم 12
فبراير واستشهد الإمام مساء يوم 11 فبراير مساءً.

فأني الطيب يومها بعد أن أخذ إدا من الداخلية لأنهم كانوا يحاصرون المنزل وتحدث إلى والدتي لكي تأتي إلى المستشفى،
وطبعًا لم تذهب وقتها؛ لأنها كانت بعد استشهاد الوالد بيوم، وبعدها بفترة حاولت أمي عن طريق إحدى الأخوات إجهاضه ولكن
أخي سيف رفض حرصًا على صحتها وسلامتها وبعدها أخذتها قريبة لنا إلى طبيب آخر فقال لها سأتابعك كل خمسة عشر يومًا

وإن شعرنا بخطر عليك سنقوم بعملية الإجهاض فشاء الله لها أن تأتي لتسمي "استشهاد".

لو تجولنا في حياتكم أكثر فلربما يبرز سؤال عن طبيعة معاملة الإمام لكم..؟!

** كان هناك توازنٌ في التربية، فمثلاً وفاء لأنها الكبرى كانت هي سكرتيرته الخاصّة؛ لأن والدتي كانت مشغولةً جدًّا ومريضةً بالقلب أيضًا، وكان عبء الدعوة على والدتي كله، فمثلاً ضيوف المركز العام كانوا يرسلون إلى والدتي الطعام إلى البيت بالصناديق وتقوم هي بطهيه.

أما التمييز فلم يكن هناك تمييز بين الولد أو الفتاة، لا من الوالد أو الوالدة، حتى في العقاب ليس هناك تمييز، وقليلًا ما كان يعاقبنا، ولا بد أن يكون هناك شيءٌ كبيرٌ أو شيءٌ قد نبهنا بخصوصه، فإذا أخطأنا فيه فلا بد من العقاب "سياسة الثواب والعقاب"، وكان إذا عاقب- ونادّرًا ما كان يعاقبنا- يعاقب دائمًا على شيء كبير.

وأذكر أنه عاقبني بسبب شقاوتي، ففي منزلنا القديم كان هناك شباكٌ مقسومٌ، وكان والدي يصرُّ على أخذ السلامك (وهو الدور الأرضي) قائلاً: حتى لا أتعب إخواني، وأيضًا لا يتعب الجيران بطلوع الناس ونزولهم.. وذات مرة كنت جالسةً على الشباك ورأيتُه قادمًا من بعيد فركضت إليه ولم ألبس "الصندل" وكان يُحضر لنا صندلاً للعب وحذاءً للمدرسة، فركضت إليه ونسيت ألبس "الصندل" فنظر إليّ مجرد نظرة، عرفت أنني سأعاقب، فعدت سريعًا إلى المنزل وبمجرد انصراف الإخوان ناداني: سناء.. فعرفتُ أن أوان العقاب قد حان، فطلب مني الجلوس على طاولة الطعام ورفع قدمي فرفعتها بنفسي وأخرج مسطرةً من جيبه وضربني على قدمي على كل قدم عشر ضربات، وكان ضربًا خفيفًا لدرجة أنني كنت أضحك وهو يضربني، ولكنني فهمت وقتها أنني أخطأت.

وفي إحدى المرات أذكر أنه كان لنا جارة وكانت تضع في أصابعها (أكلدور)، وطبعًا لن أطلب منها أن تضعه لي فأحضرت قلماً أحمر وقيمت بتلوين أصابعي وكنا نختلف أنا وسيف من يجلس على يمين السفرة (طاولة الطعام) ومن يجلس على شمالها، وكان من يجلس على يمينه هو من قام بعمل جيّد أو صحّ، ومرات أخرى كان يجلسني أنا حتى لا يكسر بخاطري، فأنا أصغر من سيف فجلست على يمينه يومها فرأني، وكان شديد الملاحظة، فسألني وقتها: ما هذا يا سناء؟! وأخبرته أنني رأيت جارتنا تضعه، فقال لي أتعرفي أن هناك أحدًا من الصالحين قال "كُل مع الكافر ولا تأكل مع أبو أظافر"؛ لأن الأظافر تجمع تحتها أشياء غير نظيفة، هيّا قومي ونظّفيه وسننتظرك، لن نأكل، فذهبت وأحضرت (موس) وحاولت إزالته فأزلت جزءًا منه وامتنع الباقي من الخروج، ولما أخبرته بذلك قال "خلاص.. تعالي إلى الطعام ولا تكرريها مرةً أخرى"، فرحمه الله كان تعليمه عمليًا، ولم يكن بالكلام فقط.

ولا بد لي أن أقول إنه كان يعلمنا- رحمه الله- بالحب، فكنا نحبه جدًّا ونطيعه؛ لأننا نحبه وليس خوفًا منه، حتى إنه إن سافر.. افتقدناه جميعًا.. وأذكر أن أختي رجاء كانت تقوم بالاتصال بالمركز العام لتسأل عوض عبد الكريم يوميًا في وقت الغداء عن الوالد (لأنه كان مسافرًا)، ودائمًا كان رحمه الله يقوم بإطلاق أسماء للدّلج لنا جميعًا، وكان يتركنا نقوم نحن أيضًا بإطلاقها عليه.

* رغم أسفاره المتعددة وانشغاله الشديد عنكم.. كيف كان يتسنّى له أن يوجّهكم ويعلمكم في مختلف المجالات؟!

** رحمه الله كان توجيهه عن بُعد، فأذكر أن أخي "سيف" كان يحبُّ قراءة قصص "أرسين لوين" فلم يقل له لا تقرّها، بل ذهب وأحضر له قصص الأُمجاد الإسلامية والعربية، أمثال عنتر بن شداد، وصلاح الدين وغيرهما، حتى إنه بعد فترة كان من الطبيعي أن يترك "أرسين لوين" ويتوجه إلى هذا النوع من القراءة، فقد كان يوجّهنا عن بُعد ليكون العمل الذي نقوم به نابغًا من داخلنا وليس منه هو ومن أوامره.

وأذكر أنني كنت في مدرسة "خاصة" ومن ثم حوّلتني إلى مدرسة أميري "حكومية"، وكان هناك مدرسة اسمها "مصر الحديثة" وكانت مديرتها تقدّر والدي جدًّا، وكانت تفتح مدرستها لحديث الثلاثاء للأخوات ليسمعنّ الدرس من المدرسة، فسألت والدي إن كان عنده بنات للدراسة فأخبرها بـ"نعم" وأحضرني فأدخلتني الصف الأول بدلاً من ثانية حضانه ولما تدهور مستواي من تدليعيها لي نقلني والدي إلى مدرسة أختي وفاء، فذهبت إلى الصف الثاني ورسيت، فلما رسيت قلّمت لهم لن أذهب إلى المدرسة.

ومع بداية العام الدراسي الجديد تحدث إليّ والدي قائلاً: ها يا سناء.. فأصررت أن لا أذهب، فقال لي طيب أنت ما شاء الله جيدة في المطبخ وبممكنك أن تجلسي وتتعلمي وتتساعدني والدتك في المطبخ، فيكيت وأخبرته أنني لست خادمة، فقال لي ومن قال إنك ستعملين خادمة، أنت ستساعدين والدتك في البيت، فطبعًا خُفتُ ورجعت إلى المدرسة، فسألني ستذاكرين وتجهدين فأجبت بنعم إن شاء الله، وهكذا كان دائمًا لم يكن يجبرنا على شيء، بل يوجّهنا بأسلوبه وكان يمكن أن تهابه ولكن لا تخافين منه، فأطفال شارعنا كله تحبه، وكان دائمًا ما يحتفظ بأقلام في جيبه وهدايا للأطفال، وكلما قابلوه بهاديبهم بها ويلعب معهم فترةً ويقبلهم.

ويأبى دائمًا أن يرانا مكسوري خاطر، ففي رحلة أعدتها جدتي لزيارة مدينتنا وحضور عرس، وبعد أن قرّر والدي أن نصطحبها

الأستاذ البنا قبل سفره للحج مع مجموعة من الإخوان

أنا وسيف ووفاء اكتشفنا عند السفر أن جدتي قد ملأت العربية بالهدايا وليس هناك مكان فقررت جدتي اصطحاب سيف ووفاء وتركبي فأخذني أبي وقتها وربت على كتفي وقال لي "معلش يا سناء" وأعطاني 25 قرشاً التي كانت تعتبر ثروةً على أيامنا تلك، ورغم ذلك حزننا وأنا في يدي حقيبة ملابسني وأخذها هو وحملها عني.

وأذكر أننا وبغية الأطفال من سني كنا نجتمع للعب سوياً في الشارع، فكنا في احتفالات المركز العام أجمع صديقتي حوالي 12-15 بنتاً، ونذهب جميعاً إلى المركز العام فيقوم الجواله بإعداد طاولات لنا ويحضروا لنا الطعام ونأكل ونشرب ونفرح ونذهب إلى بيوتنا سعيدات.

* هل كان يشغله عمله الدعوي عنكم؟

** لم يشغرننا يوماً أن ضغط العمل يأتي معه للمنزل، فمثلاً لا نراه كما يفعل البعض الآن بمجرد ما يدخل المنزل يصرخ.. ويتوعد... إلخ، بل أهم شيء في حياة الوالد كان التنظيم، ولو رأيت سيرة الوالد ترين أنه كان سائراً على خطى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه واع جيداً لقول النبي صلى الله عليه وسلم "إن لبدنك عليك حقاً.. إلخ"، فمثلاً كان ينام أربع ساعات فقط؛ ولذلك رحمه الله من وصاياه العشر أن الأعمال أكثر من الأوقات، هذا بالنسبة لأمناله من المجاهدين، أما الآن فنحن نعرف كيف نضيع الوقت ونتعفن في ذلك، فترينه رحمه الله دائماً يحرص على الغداء معنا حتى وإن كان هناك ضيوف كان يحرص أن يحضرهم إلى المنزل ليكون موجوداً وقت الغداء، وحتى في سفره يرتبه بحيث يكون الوجه البحري في الشتاء وفي الصيف الوجه القبلي عكس الناس جميعاً بمجرد أخذ الإجازة في الصيف يذهب إلى وجه قبلي يمر عليه قريةً قريةً (ونجحاً نجحاً).

الأستاذ البنا منجهاً للصعيد في
رحلة دعوية

وكان يترك الوجه البحري للشتاء لأنه يمكن أن يذهب إليه ويأتي في نفس اليوم، فكان رحمه الله يذهب في الصباح إلى عمله ويعود ليكون معنا على الغداء وقد برتاح قليلاً، حتى إن وفاء حكّت لنا مرةً أنه طلب منها أن توقفه بعد سبع دقائق، فتقول ذهبت لعمل القهوة له وبمجرد أن جهّزت القهوة وجدته بجانبني يسألني ها عملت القهوة يا وفاء، فكان قادراً على التحكم في نفسه ولم يتركها تتحكم فيه أبداً.

فهو قد يسافر بعدها إلى إحدى محافظات بحري ويعود في المساء وتكون والدتي قد نامت وقتها وهنا تأتي الرحمة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم)، فلم يكن يوقظها بعد أن تنام أبداً حتى وإن كان من أجل أن تعدّ العشاء للإخوان، بل كان يدخل هو إلى المطبخ ليعدّ لهم العشاء، وكان يعرف مكان كل شيء حتى في المخزن فيحضر (الجبنه والمش والحلاوة) أطباقاً أطباقاً، ويأخذ لهم الخبز والطاولة ويتناولون العشاء، وكان لا بد أن يقوم بتقيلنا ونحن نائمين.

وكان يوقظنا في الشتاء ونحن أطفال لكي يدخلنا الحمام ولا يقوم بإيقاظها هي أبداً، فلا يمكن بعد نومها أن يلقها، وبعد أن ينصرف الإخوان يجلس مع أختي الكبرى وفاء ليعرف منها أخبار البيت ومن زارنا وماذا فعلنا طوال اليوم وما هي احتياجاتنا؟! وكان رحمه الله لديه "نوبة" بطلبات الشهر للمنزل وحتى أيام "الخبز" وهي الأشياء التي لا توجد إلا مرةً واحدةً أو حسب المواسم، مثل الفول والزيتون والأرز، مواسمها جميعها، فيعرف مواسمها ويحضرها للبيت لعلمه بانشغال والدتنا في البيت.

أما فيما يخصنا فقد كان يرسلنا مع أحد الإخوة لشراء احتياجاتنا المدرسية مع بداية الدراسة، وقد أعد- رحمه الله- لكل واحد فينا ملقاً خاصاً به يحوي كل ما يخصه من علاج أو تقديم في المدرسة والتطعيم وخلافه، حتى التطعيم والأدوية التي أخذناها من يوم ولادتنا وأمراضنا التي مرضنا بها من يوم مولدنا، فهو رحمه الله بالنسبة لواجباته منظمٌ جداً فلا يطغى شيء على شيء عنده.

وكان رحمه الله يؤمن جيداً بتعليم المرأة ولكن مع ما يتناسب مع ثقافتها؛ ولذلك أدخلنا الثقافة النسوية، ورغم انشغاله الشديد كان يساعد جدّي في تبويب مسند الإمام أحمد ولم يمنعه انشغاله أبداً عن مساعدة جدّي.

* ذكرت أنه اختار أختكم وفاء لتكون بمثابة سكرتيرته ورفيقتة في أموره الخارجية فما السبب؟

** أولاً لكبر سنهما يومها ولوجودها المستمر في المنزل بعكس سيف، فكان أغلب الوقت في خارج المنزل، وهي أول من كوّن الأخوات المسلمات، فهي من تأتي الأخوات إليها في المنزل ويتابعن معها وخلافه.

* كيف كان الإمام البنا عند غضبه؟

** لم يوجد في بيتنا غضب، بل كان دائماً هناك تفاهم، ولكن ما يمكن أن يقال عليه حزن أكثر منه غضب هو عام 48 وكان الإخوان في حرب فلسطين فخرج من غرفته ولا أنسى أبداً كيف بدا منظره وقتها، وكانت والدتي في الصالة تقوم بعمل الكعك (الخاص بالعيد) ومعها عماتي وجدتي فنظر إليها قائلاً "إيه يا أم وفاء، بقي انتي عابرة تعملي كحك وأنا اتنا عشر من أبنائي استشهدوا في فلسطين" ونادى على أح كان يساعدهنا ليرفع الكعك والعجين وما كانوا يفعلون، ولم تكمل والدتي عمل الكعك، ومن يومها لم تقم والدتي بعمله في بيتنا بعدها أبداً، قد تقوم بعمل أنواع من البسكويت ولكن الكعك رفضت عمله من يومها حتى بعد استشهاده.

* بم تفسرين هذا التوافق والانسجام بين الوالدين عليهما رحمه الله؟

** كانت بداية اختياره للوالدة بعد ذهابهم إلى الإسماعيلية وكانت جدتي رحمها الله ذهبت إلى عدة منازل من بيوت كبار الإسماعيلية فتدخل العائلة هذه مثلاً هؤلاء عائلاتهم كل اعتمادهم على الطباخين وخلافه وذهبت جدتي إلى والدي، وقالت له إنه لا يصلح لك إلا بيت فلان "على منزل جدي لأمي" وكان جدي لأمي يحب والدي جداً ويستشيريه في كل أموره حتى إن والدتي كانت

أحمد سيف الإسلام حسن
البنا

مخطوبة لشخص آخر فأتى إلى جدي يطلب منه أن يصطحب ابنته إلى السينما "والدتي" فعرض جدي لأمي الأمر على والدي وسأله عن حكم ذلك فأخبره والدي أن هذا حرام، فلما عرف جدي أن ذلك الشخص طلب منه شيئاً حراماً ردَّ إليه الذهب وقال إنه ليس عنده بنات للزواج.

وما لفت نظر جدتي لأبي إلى أمي أن بيتها رغم أنهم كانوا ميسوري الحال جدًّا إلا أنهم كانوا يقومون بعمل الأشياء بأنفسهم حتى إنهم كانوا يطبخون للعاملين عندهم، فتشعرت أنهم بيت كرم وسخاء، وحتى مع أنه لم يوجد وقتها مدارس إلا أن جدي أحضر شيئاً يقرأ القرآن يوميًا، ثم بعد الظهر كان هذا الشيخ يعلم أهل البيت من النساء درس فقه، لذلك كانت والدتي رحمها الله رائعة في الفقه، ولقد سعد جدي بوالدي لأنه كان يحبه جدًّا، حتى إنه رضي أن تسافر أمي مع والدي، فقد رفض أن تزوج خالتي مستشازًا لأنه سيسافر بها، أما والدي فمن حبه الشديد له قبل أن تسافر معه إلى القاهرة، فوالدي رحمه الله أخذ الزوجة الحسنة في المنبت الحسن، ليس كما يعتقد البعض أنه سيأخذ امرأة أيًا كانت وأيًّا كان منزلها والتزامها وهو سيجعلها تلتزم فهذه للأسف من العادات المغلوطة التي يفكر فيها شبابنا.

وسبحان الله بعد زواجها وهو بالنسبة لها مثال للتضحية لأنها كانت مؤمنة جدًّا بدعوته وكانت تعتبر الإخوان أبناءها، قد تقف في المطبخ مرةً واثنين وثلاثًا ومن دون أن يتكلم والدي بل حنًا منها لهم حتى بعد استشهادهم رحمه الله كان الإخوان يخرجون من السجن ويأتون إلينا للسلام علينا، فكان مستحيلًا أن يمشي من بيتنا من دون أي طعام وحتى لو لم يكن هناك شيء جاهز تذبج وتعدُّ وهي سعيدة جدًّا ولما جاءوا القاهرة وأخذوا مكتب المركز العام أعطت والدتي كل فرشها تقريبًا ليضعه في المركز العام ولم يبق في بيتنا وقتها إلا بعض الأشياء القليلة جدًّا، حتى السجاد والستائر التي شغلته بيدها، أما بيتنا فكان ستائره بسيطة وبعض الغرف وضعنا فيها أي شيء والأرضيات "كليمات" ولم يكن ذلك يؤثر فيها أبدًا وكأنها لم تتبرع بفرش منزلها أبدًا.

وكانت تنق فيه ثقة كبيرة، فتأتي الأخوات ويجلسن مع والدي ويتحاورن طبعًا والباب مفتوح ولم تتضايق يومًا أو تسأل ما الذي يفعله هؤلاء هنا كما تفعل بعض السيدات، بل إيمانها الشديد به كان فوق التصور، حتى منزلنا كان من المنازل التي نزلت في خريطة الهدم فطلبت منه والدتي أن يشتري منزلًا صغيرًا لها ولنا، فردَّ عليها بإيمان عميق: يا أم وفاء قصورنا تنتظرنا في الجنة، ولن يصيغنا الله في الدنيا، وانتقل هذا الإيمان لوالدتي عن حب وليس على مضاضة وغضب كما تفعل الكثير من الزوجات الآن، ودائمًا ما كان ينادي والدتنا بـ"يا أم وفاء"، وهي تناديه: يا أستاذ حسن؛ ولذلك كان الاحترام متبادلًا بينهما؛ ولذلك يوم أن فقدنا الاحترام في بيوتنا فقدنا أشياء كثيرة.

بداية رحلة الاستشهاد

* كيف بدأ التآمر على الإمام البنا رحمه الله؟!

** في الفترة الأخيرة قبل استشهادهم ومع اشتداد الحديث حول محاولة قتله فمرات يخبرونا أنهم سينسفون البيت إلخ، فكان يتعجب ويقول: أكل هذا من أجل قتلي أتآمر الدولة كلها من أجل قتلي يكفي أن يرسل شاب صغير ليطلق عليّ رصاصتين من ظهري وانتهى الأمر، وأكثر ما كان يؤلمه وقتها هو اعتقال الإخوان وكان يقول فيما معناه إنه يسمع صراخ وبكاء أطفال الإخوان في أذنيه؛ ولذلك كان مستعدًا لعمل أي شيء لإخراجهم حتى إنه في آخر مرة لما كانوا يقابلونه في مركز الشبان المسلمين أخبرهم أنه سوف يذهب إلى منزل الشيخ النبراوي الذي كان يبلغ وقتها من العمر حوالي سبعين عامًا فذهبوا إلى عزة الشيخ النبراوي ودمروها تمامًا ثم أتوا إلى والدي عن طريق الليثي وأخبروه أن شيخ الأزهر المراعي وقتها يريد في جمعية الشبان المسلمين، وكانت هذه المكيدة التي دبروها لاغتياله.

وأكثر شيء أتعب الوالد هو حل الجماعة حتى إنه لما جاءوا لأخذ سعد طلب منهم أن يأخذوه معهم ولكنهم رفضوا ورغم أنك عند قراءة تلك الرسائل تجدينه يقول لهم ستقتلون وتسجون وسبحان بيني وبينكم.. إلخ يعني كان يشعر بما قد يحدث ورغم ذلك ألمه جدًّا وكان يحاول إيجاد حلٍّ بأي وسيلة.

وتقول الحاجة زينب- والكلام على عهدتها رحمها الله- سمعته منها أن والدي في فترة حل الجماعة كان يحاول الهروب من الرقابة ومقابلتهم للاطمئنان على أحوال الأسر ومن يحتاج لشيء وغيرها.

الحاجة زينب الغزالي

وقتها كنا في حالة توتر حتى إن أحد الرجال جاء من الصعيد (بشومة) وبنديقية وجلس تحت السلم ورفض الانصراف وتوعد كل من يقترب من منزلنا أو من والدي.. وفي نفس الوقت كانت الوالدة رحمة الله عليها تتابع المنطقة عند خروج والدي أو قرب عودته، ففي مرة بعد ذهابه للصلاة نظرت من النافذة فوجدت رجلين ملثمين فنادت ابنة الشغالة التي كانت في منزلنا ووفاء وطلبت من كل واحدة منهما الوقوف في جهة وطلبت منهما أن ينتظرا الوالد عند ناصية الشارع فلما رأهما الملثمان هربا فكانا ينويان قتله حتى أمام المنزل.

* كيف كان يوم استشهاد الإمام البنا؟

** هذا يوم لا ينسى ولا ينمحي من ذاكرتي أبدًا فيومها حُوصر الشارع بكتيبة وأخذوا أسماء الناس القاطنين في الشارع ولا يدخلون إلا من يسكن في الشارع فقط، أما في بيتنا ورغم أنه كان أيلًا للسقوط أصبح على السلم كله حتى السطح عسكري على كل سلم وفوق السطوح مليئًا بالعساكر، ثم ذهبوا لجدي وطلبوا منه أن يأخذ والدي من قصر العيني للمقابر مباشرة، فرفض جدي وأصرَّ أن تراه زوجته وأبناؤه قبل دفنه فأحضره إلى المنزل، وكان لجدي طريقة مميزة في الطرق على الباب فطرق وتحنج وطلب من والدتي أن تفتح الباب، وكان وقتها الساعة الواحدة ليلاً. وكنا في هذه الأيام على غير عادتنا ننام متأخرًا مع ما يجري من أحداث وشعورنا بقرب استشهاد والدي، وأول ما طلب منها جدي أن تفتح شعرت أن والدي استشهاد فقالت (يبقي قتلوه) وبدأت في البكاء، فطلب منها أن تصبر وأن تحتسب وكان جدي صابرًا جدًّا.

وبعدها علمت عماني وكُنَّ يسكننَّ بالقرب منا فأنت عمّة لي لتدخل عليه، وعند دخولها دخلتُ سريعًا معها ولم ينتبه أحدٌ لي، فكشفتُ الغطاء عن وجه والدي.. والله لا أنسى هذا الوجه ما حبيت.. أولاً وجهه كان كبيرًا بالنسبة لحجمه فكانت ابتسامته عذبة وابتسامته تطهر أسنانه وكانت ناصعة البياض ومفجعة حتى إنني مع صغر سني لما رأيته لم أصدق أنه مات.. حتى لما كانت واحدة من صديقاتي تُعزيني أقول لها إنَّ والدي لم يمت هو ذهب إلى ربنا مثل سيدنا عيسى وسيعود فشكله الذي رأيته لا يُوحى بميت أبدًا.

ثم قام جدي وغسَّله وكفنه لأنهم كانوا قد شرحوا جسده في المستشفى، ثم أحضر الحانوتي الصندوق ووضعوا فيه الوالد وطلب جدي وقتها من العساكر أن يرفعوا والدي معه فكان ردهم عليه ليس عندنا أوامر.. فصرخت وفاء فيهم: "احملوه وإلا من سيحمله؟" فرفضوا فقامت جدتي وقتها وقالت أنا من سيحمل ابني، وذهبت إلى الصندوق ورفعته فلما رفعت جدتي ورأها نساء الإخوان اللاتي حضرن لتعزيتنا فُمن وحملن النعش معها، وحمل الجنائزة النساء. وعند القبر دعت عمّة لي بدعوة على أبناء فاروق جميعهم وكانَّ أبواب السماء مفتوحة وتحققت الدعوة سبحانه الله. وأصبح بيتنا مصيدة كلما أتى أخ للعزاء وتدخل زوجته لتعزيتنا يُعتقل.

والدة الشهيد حسن البنا

أيام العزاء كانوا يحضرون جدي ويسألونه من هذا فإن عرفه وقال إنه قريب من العائلة أدخلوه وإن لم يعرفه اعتقلوه.

والمفاجأة أنه بعد وفاة جدي، (توفي بعد الوالد بعشرة أعوام)، وجدنا والدي كما هو فالكفن كان يكشف عن الوجه فوجدنا ندبات مكان شعر الذقن ووجهه مثلما هو كأنه وجه شمعي والعين مغمضة كما هي. ودخلنا بعدها عدة مرات آخرها منذ عشر سنوات حتى كفن جدي ورغم أنه كان عالمًا فعند نزولنا قريبًا أصبح الكفن مساويًا للأرض، أما كفن الوالد فعلى هيئته وشكله منذ أنزلناه، وكان مثل أول مرة لم يتغير سبحانه الله، ولما كنا نذكر ذلك نجد المباحث تنزل إلى القبر وتتأكد من كلامنا.

وفي وفاة والدتي بعدها بعشرين عامًا أقاموا الدنيا وكانَّ كل من لم يستطع حضور جنازة الوالد أراد أن يحضر جنازة الوالدة؛ ولذلك لما رأوا هذه الأعداد المهولة القادمة لجنازة الوالدة اعتقلوا أخي سيف لأول مرة.

دور الوالدة

* تغير دور الأم بعد استشهاد الإمام رحمهما الله فكيف كانت تقوم بهذا الأمر؟

ة حائمه ريداء ةروصلا

** سيف أخي هو من وقف معنا ومعها حقيقةً، فقد أدرك على صغر سنه أن بيتنا له وضعٌ معينٌ بالإضافة إلى الأمن المراقب لنا أربعًا وعشرين ساعة حتى القبر مراقب كل من يزوره يُحبس، فوالدتي رحمها الله كانت قويةً جدًّا في هذه النقطة فلم يعد يسمح لنا بالخروج واللعب في الخارج، من يرد يلعب معنا يأت إلينا، وحتى سيف عرف أنه من البيت للمدرسة ومن المدرسة للبيت، فسبحان الله في هذا الوقت استغللنا هذا الأمر بقراءة مكتبة والدي وكنتُ لا أنام حتى أنهى الكتاب الذي أخذه من مكتبة والدي رحمة الله عليه.

* كيف حافظتم على تراثه وكتبه من بعده رغم وجود الأمن حولكم؟

** بعد استشهاد الوالد كان يأتي الأمن إلى منزلنا للتفتيش كل مرة، وكانت تناديني أمي وقتها تعالي واكتبي اسم كل كتاب سأأخذونه وتصرخ في الضابط قائلةً: هذه الأشياء ملك الشهيد الإمام حسن البنا وليست ملك سيف الإسلام هذا تراثٌ وهذا للتاريخ، وفعلاً بعد أن يأخذوها ويذهب سيف لإحضارها فكان يأتي بها معلقةً في أكياسها كما كانت، فلذلك كانت أمي رحمها الله السبب في حفظ تراث الإمام البنا رحمه الله تعالى.

أحمد سيف الإسلام في مكتبة والده الشهيد